وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حب الوطن

عند النبي ρ وأصحابه ψ

د. علـي عائش المزيني
الجامعة الإسلامية ـ كلية الدعوة وأصول الدين

μ في أسباب الكتابة في هذا الموضوع :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فإن الكتابة في هذا الموضوع في هذا الوقت خاصة مطلب ملح ، وذلك لثلاثة أسباب هامة :

الأول : للأحداث المتسارعة التي يشهدها العالم، ونحن جزء من هذا العالم نؤثر فيه ونتأثر به، وإننا نرى بلادنا ، بلاد الحرمين وقبلة المسلمين وقد رماها الأعداء عن قوس واحدة ، وتكالبت عليها قوى الشر والعدوان من كل جانب، تروم النخر في جسدها ، والعبث بمقدراتها ، والنيل من عزتها وكرامتها على أيدي :

1- إما أغرار أحداث في الداخل، يفجرون ، ويدمرون ، ويهلكون الحرث والنسل.

2- وإما روابض من أبناء جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، اتخذوا من بلاد الكفر ملاذًا وملجأ ، يسددون منها سهامهم نحونا بدعوى (الإصلاح) زعموا ، وما علموا ، أو علموا فعموا وصموا أنهم حراب يغرسها الأعداء في نحورنا في الوقت المناسب ، لنعود وإياهم كما كنا في الماضي أمة على هامش الأمم ، عنواننا الجهل ، والمرض ، والفقر ، والتخلف، مسرحًا لعربدة الكبار من أعدائنا، يقضون فينا بأهوائهم، ويقتسمون ثرواتنا فيما بينهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

3- وإما أعداء تقليديون، قد ظهر مكرهم، وبدت البغضاء من أفواههم، في الداخل والخارج، رفعوا عقيرتهم بأفكار هدامة، وعقائد منحرفة، وقد كانوا في الماضي القريب لا يتكلمون إلاّ على استحياء.

أفرزت هذه الأحداث موضوعات هامة على الساحة الفكرية منها موضوع (الوطن) ما له وما عليه، وكثر الحديث في هذا الموضوع بدافع الغيرة على الوطن باعتباره الدرع الواقي للدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والعرض.

ومع أننا كنا إلى عهد قريب لا نظن أن موضوعاً كهذا بحاجة إلى الكتابة فيه؛ لاتفاق الناس عليه، وعدم اختلافهم فيه، لسلامة فطرهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وأذواقهم، حتى أنه خلت منه معظم مؤلفات المتقدمين، إلاَّ أن الأحداث التي شهدتها الساحة مؤخرًا وما صاحبها من كتابات في هذا الموضوع دلت في كثير من الأحيان على خلط عند البعض في فهم هذا الموضوع، ورؤية غير واضحة، وتداخل أحيانًا مع موضوعات أخرى، مما نتج عنه أحيانًا اتهام البعض بضعف المواطنة، أو قلة الغيرة على الوطن، أو التآمر على الوطن أحيانًا.

وإذا كانت الكتابة في هذا الموضوع مطلبًا ملحًا على الغيورين من الكتاب، والمفكرين، والمثقفين، والأدباء، والدارسين، فإنه يجب على أهل الاختصاص من الباحثين، وطلاب العلم في الجامعات، ومراكز الأبحاث التصدي لهذه القضية؛ ليأخذ الناس عنهم الموقف منها على بينة، وعلم، وهدى، ونور، وبصيرة.

وإن البحث في مثل هذه القضية لهو من صميم عمل الباحثين والدارسين، وطلاب العلم، فهي من القضايا اليومية الساخنة المطروحة على الساحة الفكرية المعاصرة، والتي تهم المجتمع بأسره، وإذا تأخر عنها هؤلاء تصدى لها غيرهم، ممن هم دونهم، فأتوا فيها بالعجائب، وصاروا بتأخرهم هذا مشاركين في خذلان وطنهم وأهله، لتقصيرهم في نصرته والدفاع عنه، وربما أتى عليهم زمان قالوا فيه كما قال الأول: أكلت يوم أكل الثور الأبيض[1]، ولات ساعة مندم.

الثاني : تحرّج البعض من الانتساب إلى أوطانهم، فإنك إذا سألت

(1) مجمع الأمثال للميداني 25/1، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت. وصبح الأعشى للقلقشندي 352/1، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 1981م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بعض النـاس: مـن أي الـبلاد أنـت؟ قـال لـك: أنـا مسلم؟ وتحاشـى أن يـذكر القطـر الـذي ينتمـي إليـه، والبلـد الـذي فيـه نشـأ، ومنـه درج؛ بحجـة أن تلـك البلاد ربما كانت بلاد كفر، أو بـلاد ذنـوب ومعاصـي وآثـام، أو بحجـة أنـه يريد أن يجمع النـاس علـى الإسـلام، ولا يفرقهم علـى الأوطـان، حتـى قـال قائلهم: (الحمد لله الذي جمعنا على العقيدة والدين، ولم يجمعنا على النسب والطين) (1).

الثالــث : جمعـاً للمتفرق فـي هـذا الموضـوع، وهـو كثيـر، مـع خلـو السـاحة -فيمـا أعلـم- مـن مثـل هـذا الجمـع، مـع أن المتحـدثين فيـه كثيـر، وخاصــة فــي السـنين الأخيـرة ، حـين دعـت الحاجـة إليـه، فــي النـدوات، والمحاضرات، والأشرطة الصوتية، والمؤلفات، وغيرها.

لهـذا فقد عزمـت علـى التصـدي لهـذا الموضـوع مـن خـلال سـيرة رسول الله ρ وبعض أصحابه لمعرفـة موقفهم منه ، أخذًا بقول الله تبـارك وتعـــــالى: ژ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ی ی ی ی □ ژ (الأحزاب: ٢١)، وقولـه تعـالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ژ (النحل: ٤٣)، وقـــول رســول الله ρ: [**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**] (2). وقولــه ρ: [**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي، الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**] (3). وقول ابن مسعود τ : (من كان مستـناً فليستن بمن قد مـات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحـاب محمد ρ كـانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختـارهم الله لصـحبة نبيـه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهـم فضـلهم، واتبعوهم علـى آثـارهم، وتمسكوا بمـا

(1) مفهوم الوطنية لزين العابدين الركابي ص 7، غيناء للنشر، ط1، الرياض، 1426هـ.
(2) الموطأ لمالك 899/2 برواية يحيى الليثي، دار الكتب العلمية، بيروت، (باب النهي عن القول بالقدر)، والتمهيد لابن عبد البر 331/24، تحقيق سعيد أحمد أعراب، توزيع مكتبة الغرباء الأثرية، والاستذكار 265/8، (باب النهي عن القول بالقدر) تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوّض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ - 2000م، وذكره الألباني في الصحيحة 361/4، مكتبة المعارف، ط4، الرياض 1408هـ - 1988م.
(3) السنة لابن أبي عاصم ص 46 (54)، بتحقيق الألباني(وصححه) ، المكتب الإسلامي ، ط 4، بيروت، 1419هـ - 1988م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) [1].

ولست أزعم أنني أول من طرق هذا الموضوع، أو أنني سآتي فيه بما لم يأت به الأولون، أو أنني سأوفيه حقه من البحث والدراسة، ولكنه اجتهاد أرجو الأجر على صوابه، والعفو عن تقصيره وزلاته.

وأناشد كل من قرأه أن يحسن الظن بي ، ويسدد خطأي فإن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ....

تعريف الوطن

الوطن هو المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، يقال: وَطَنَ بالمكان وأوطَنَ: أقام. وأوطنه: اتخذه وطنًا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا: أي اتخذها محلاً ومسكنًا يقيم فيها. وأوطنت الأرض، ووطّنْتُها توطينًا، واستوطنتها أي اتخذتها وطنًا. والمَوَاطن: كل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له[2].

((وكل أمة لابد لهم من وطن)) [3].

بل كل مخلوق لابد له من وطن.

وتتعدد أسماء أوطان المخلوقات فيقال: وطن الإنسان، وعطن البعير، وعرين الأسد، ووجار الذئب والضبع، وكناس الظبي، وعش الطائر، وقرية النمل، وكور الزنانير، ونافقاء اليربوع [4].

أقسام الوطن

ويقسم بعضهم الوطن باعتبار المآل والمصير إلى قسمين:

وطن

---

(1) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم (1807، 1810)، تحقيق الزهيري، دار ابن الجوزي، ط1، الدمام، 1414هـ- 1994م، وبنحوه عن ابن عمر والحسن وقال محققه: ((لا بأس به)) وانظر: شرح السنة للبغوي 214/1، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1403هـ - 1983م، والحلية لأبي نعيم (عن ابن عمر) 305/1، دار أم القرى، القاهرة، ومشكاة المصابيح للتبريزي 67/1 (193)، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت، 1405هـ-1985م، وحكم الألباني على إسناده هناك بالانقطاع.

(2) اللسان لابن منظور 451/13 (وطن)، دار الفكر ودار صادر، بيروت.

(3) مقدمة ابن خلدون 470، تحقيق خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1401هـ - 1981م.

(4) المدهش لابن الجوزي 42، تحقيق مروان قباني، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1405هـ ، وفتح الباري لابن حجر 412/6، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان ، ط1، القاهرة، 1407هـ - 1986م .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالوطن الحقيقي هو (الآخرة) قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ژ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ژ (غافر: ٣٩). قال الزمخشري في تفسيرها: ((افتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها؛ لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله، ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة، وثنَّى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن والمستقر)) [1].

وقال ابن القيم: ((الدنيا مجاز والآخرة وطن، والأوطار إنما تطلب في الأوطان)) [2].

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى ژ ڤ ڄ ژ (الملك: ١٥): ((نبه على أننا في هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين بل دخلناه عابري سبيل، فلا يحسن أن نتخذه وطنًا ومستقرًا، وإنما دخلناه لنتزود منه إلى دار القرار، فهو منزل عبور، لا مستقر حبور، ومعبر وممر، لا وطن ومستقر، فتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته، ووحدانيته، وقدرته، وحكمه، ولطفه، والتذكير بنعمه، وإحسانه، والتحذير من الركون إلى الدنيا، واتخاذها وطنًا ومستقرًا، بل نسرع فيها السير إلى داره وجنته)) [3].

وقال أيضاً: ((ومن علامات (صحة القلب) أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلى هذه الدار غريباً، يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه، كما قال عليه السلام لعبد الله بن عمر: [**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور** ...] وكلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها)) [4].

وقال علي بن أبي طالب τ :((إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا

---

(1) الكشاف للزمخشري 372/3، دار المعرفة، بيروت.
(2) الفوائد لابن القيم 51/1، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت، 1393هـ - 1973م.
(3) الفوائد 18/1.
(4) إغاثة اللهفان لابن القيم 84/1، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ - 1992م، والحديث في صحيح البخاري مع الفتح وغيره 237/11 (6416).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب، وغداً حساب ولا عمل)) [1].

وقال المناوي في التعليق على قول رسول الله ρ السابق لابن عمر: ((أي عش بباطنك عيش الغريب عن وطنه بخروجك عن أوطان عاداتها ومألوفاتها بالزهد في الدنيا والتزود منها للآخرة فإنها الوطن، أي أن الآخرة هي دار القرار، كما أن الغريب حيث حل نازع لوطنه، ومهما نال من الطرف أعدها لوطنه، وكلما قرب مرحلة سره، وإن تعوّق ساعة ساءه، فلا يتخذ في سفره المساكن والأصدقاء، بل يجتزيء بالقليل قدر ما يقطع به مسافة عبوره ... فهو كعبد أرسله سيده في حاجة، فهو إما غريب أو عابر سبيل، فحقه أن يبادر لقضائها ثم يعود إلى وطنه، وهذا أصل عظيم في قصر الأمل، وأن لا يتخذ الدنيا وطناً وسكناً، بل يكون فيها على جناح سفر، مهيأً للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا جميع الأمم)) [2].

وقال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى ژ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ژ (آل عمران: ١٤٢)، وما في معناها من آيات قال: ((فعلى العاقل منا معاشر بني آدم أن نتصور الواقع ونعلم أننا في الحقيقة سبي سباه إبليس بمكره وخداعه من وطنه الكريم إلى دار الشقاء والبلاء، فيجاهد عدوه إبليس ونفسه الأمارة بالسوء حتى يرجع إلى الوطن الأول الكريم، كما قال العلامة ابن القيم تغمده الله برحمته:

ولكننا سبي العدو فهل ... نرد إلى أوطاننا ونسلم)) [3]

وقال الشاعر:

الـــروح عند إله العرش ... وتـــربة الـأرض أصـل الجسم والبدن

قـــد ألـــف الملـــك الجبار بينهما ... ليصـــلحا لقبـــول الأمر والمحن

(1) صحيح البخاري مع الفتح 239/11 (باب في الأمل وطوله). وإغاثة اللهفان 84/1.
(2) فيض القدير للمناوي 51/5، 52، دار المعرفة، بيروت.
(3) أضواء البيان للشنقيطي 254/1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1413هـ - 1992م، وانظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم 19، 20، تحقيق سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ 2004م، وإغاثة اللهفان 84/1. وشرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى 543/2، المكتب الإسلامي ، ط3، بيروت، 1406هـ - 1986م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فـــالروح فـــي غربـــة ... فـاعرف ذمـام الغريـب
والجسم في موطن ... النـــــازح الـــــوطن[1]

ومعنى الأبيات: إن وجود الروح في الجسد يعتبر من أنواع الغربة عن الوطن؛ لأن الروح من أمر الله، والجسد من التراب، وشتان ما بينهما، فالروح في غربة ما دامت في هذا الجسد، والغريب له حقوق يجب أن تراعى حتى يأتي يوم رجوعه إلى وطنه الذي نزح منه.

الـــــــو طـــــــ ن

أما الوطن المجازي فهو (الدنيا) التي يعيش فيها الإنسان ما كتب الله له فيها من عمر، ثم ينتقل عنها إلى الوطن الحقيقي (الآخرة)، إما إلى جنة وإما إلى نار.

والنوعان من الوطن بينهما تداخل، ويكملان بعضهما ، لكن ليس بينهما تعارض، ولا يلغي أحدهما الآخر، ولكل منهما حقيقته، وحقوقه، وواجباته، قال تعالى: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ (القصص: ٧٧).

وستسلط الدراسة الضوء فيما يأتي من مباحث على النوع الثاني من أنواع الوطن، وهو الوطن المجازي (الدنيا)، وهذا أوان الشروع فيما قصدنا إليه، والله الهادي والموفق للصواب، عليه نتوكل وبه نستعين.

الــــفـــــتــــــرة الـمـكــــــ

الرسول ρ يبحث عن وطن

أمضى النبي ρ السنين الأولى من حياته قبل النبوة في مكة يمارس المواطنة فيها بشكل اعتيادي كما يمارسها غيره، يخرج منها ويعود إليها، ويتنقل بين أطرافها وجنباتها بحرية كاملة، ويمارس أنشطته في هدوء واطمئنان، ويقضي معظم أوقاته كما يقضيها بقية أهله وقومه وعشيرته وأصحابه.

إلا أنه بعد النبوة تبدلت الأحوال وتغيرت الظروف، وذلك حين رفض قومه دعوته ، وأظهروا عداوته وضيقوا عليه، وآذوه هو وأصحابه حتى ضاقت عليه مكة بما رحبت، وأصبح فيها شريداً طريداً، كأنه غريب

---

(1) تفسير الرازي 54/15، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ -1990م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الوطن[1]، لا يأمن على نفسه، ولا يستطيع أن يمارس دعوته، وليس بأصحابه قوة يمنعونه.

فأخذ يبحث له عن وطن آخر يأوي إليه ويأمن فيه ليمارس دعوته فيه بقدر أكبر من الحرية، فقد صح عنه ρ أنه حين كان يعرض الإسلام على الناس في مكة كان يقول لهم: [**من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة**] [2]. والإيواءالذي ينشده، ويعطى عليه الجنة لا يكون إلا بمأوى، والمأوى هو الوطن الذي يأمن فيه، ولا أمن في وطن إلاَّ بأتباع يمنعونه، وبدون ذلك لا يكون وطنًا ولو كان بين أهله وقومه، بدليل أنه كان ρ يطلب الإيواء من الناس وهو مقيم بين قومه وفي ربوعهم، فكان فاقدًا للمأوى وهو مقيم، وفاقدًا للنصرة وهو بين أهله، مع أنه ρ كان بارًا بقومه، فعرض عليهم الإسلام قبل غيرهم عملاً بقوله تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ژ (الشعراء: ٢١٤).

ولهذا فقد أذن ρ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة وحثهم عليها قائلاً لهم : [**إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً**] [3] ، لما رأى المشركين يؤذون أصحابه، وهو غير قادر على كفهم، والدفاع عن أصحابه .

كما ثبت أنه ρ من أجل ذلك انتقل إلى الطائف، ثم عاد منها إلى مكة بعد فترة قصيرة قضاها فيها [4].

إلى أن هيأ الله له نفراً من أهل المدينة بايعوه في العقبة الثانية على (الإيواء والنصرة) [5] فهاجر إليها، وصارت له مأوى، وأهلها له أنصار، وما زال لسانه لهجاً بحمد الله وشكره على هذه النعمة التي توفرت له، روى أنس τ -وهو لم يلازم النبي ρ إلا في المدينة -أن رسول الله ρ كان

(1) انظر: صحيح البخاري 644/7 (4330)، وصحيح مسلم 733/2-739 (1059-1062)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ - 1992م.
(2) مسند أحمد 347/22 (14456)، 22/23 (14653)، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1419هـ-1998م، وصحيح ابن حبان 173/14 (6274)، 475/15 (7012)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت ، 1412هـ-1991م.
(3) السيرة لابن هشام 321/1، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وصحيح السيرة للألباني 170 (وصححه) ، المكتبة الإسلامية، ط1، عمّان، 1421هـ.
(4) سيرة ابن هشام 419/1، وصحيح البخاري مع الفتح 360/6 (3231) وانظر معه الفتح 363، 364.
(5) فتح الباري 86/1، 261/7، 263.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إذا أوى إلى فراشه قال: [**الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**] (1)، وذكر النووي من معاني قوله: ((ولا مؤوي)): أي لا وطن له ، ولا سكن يأوي إليه (2).

وقد امتنّ الله على المسلمين بهذا الإيواء: فقال تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ(3) ، مما يدل على أهميته وعظيم أثره .

وهــذا الخروج الذي تعرض له النبي ρ لم يلجأ إليه مختاراً بل اضطر إليه اضطراراً ، واعتبرت قريش مسؤولة عن دفع الرسول ρ وأصحابه للخروج من وطنهم (مكة)، وقد سطر القرآن هذه المسؤولية في عدد من آياته منها قوله تعالى: ژ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ (التوبة: ٤٠) ، وقال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ (4)، وقال: ژ ڎ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ژ (محمد: ١٣) وقــــال: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پپ ژ (5) وقال: ژ ک ک گ گ گ گ گ گ گ گژ (الأنفال: ٣٠) .

ويندرج هذا الخروج الذي تعرض له النبي ρ وأصحابه تحت أصل عظيم من أصول الدين وهو (الفرار بالدين من الفتن)، وإبراهيم الخليل عليه السلام هو أول من فعل ذلك، قال تعالى حكاية عنه: ژ ې ې ې ۉ ۉ ئا ئا ئە ئە ژ (الأنبياء: ٧١)، قال الشنقيطي في تفسيرها: ((وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الفرار بالدين من دار الكفر إلى بلد يتمكن فيه الفار بدينه من إقامة دينه واجب، وهذا النوع من الهجرة وجوبه باق بلا خلاف بين العلماء)) (6). وقــال تعالى عنــه أيضًا: ژ ۉ ۉ ئا ئا ئە ئە ئو ژ (الصافات: ٩٩)، قال القرطبي في تفسيرها: ((هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلّصه الله من النار قال: ژ ۉ ۉ ئا ئا ئە ژ أي مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى

(1) صحيح مسلم 2085/4 (2715).
(2) شرح النووي على صحيح مسلم 34/17، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت.
(3) الأنفال [26]، وانظر تفسير ابن سعدي 197/2، تحقيق محمد زهري النجار، دار المدني، جدة، 1408هـ-1988م.
(4) الممتحنة [1] وانظر تفسيرها عند ابن كثير 347/4.
(5) الإسراء [76] وانظر تفسيرها عند ابن كثير 53/3.
(6) أضواء البيان 644/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حيث أتمكن من عبادة ربي ، فإنه سَيَهْدِيني فيما نويت إلى الصواب)) [1].

ثم بيّن تبارك وتعالى في موضع آخر أنه عوَّضه عن فراق وطنه ذلك بالذرية الصالحة[2]، قال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ (مريم: ٤٩).

وأخبر تبارك وتعالى عن أهل الكهف، الذين فروا بدينهم من قومهم، إلى غار في جبل فقال: ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ (الكهف: ١٠)، قـــال ابن كثير في شرحها: ((يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منهم، فلجؤوا إلى غار في جبل، ليختفوا عن قومهم)) [3].

وهكذا هاجر نبينا محمد ρ من مكة إلى المدينة، متغلباً على حظوظ النفس وشهواتها، من حب الوطن والتعلق به، وكذلك فعل أصحابه رضوان من الله عليهم حين هاجروا إلى الحبشة، ثم بعد ذلك إلى المدينة.

قال السهيلي في التعليق على هجرة المسلمين إلى الحبشة: ((وفي هذه من الفقه الخروج من الوطن، وإن كان الوطن مكة على فضلها، إذا كان الخروج فرارًا بالدين، فإن الحبشة كانوا نصارى، وسُمي الصحابة بهذه الهجرة مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين، الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ (التوبة: ١٠٠)، وجاء في التفسير: إنهم الذين صلوا القبلتين، وهاجروا الهجرتين.

فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، لما كان فعلهم ذلك احتياطًا على دينهم، وأن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر، فإذا غلب المنكر على بلد، وأوذي على الحق مؤمن، ورأى الباطل قاهرًا للحق، ورجى أن يكون في بلد آخر، أي بلد كان، يبين فيه دينه، ويظهر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن، وهذه الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة)) [4].

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ((والهجرة فريضة على هذه

---

(1) تفسير القرطبي 87/15، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 1422هـ - 2001م، وانظر: أضواء البيان 643/4، 644.

(2) أضواء البيان 644/4.

(3) تفسير ابن كثير 73/3، دار المعرفة، بيروت، 1400هـ -1980م.

(4) الروض الأنف 92/2، (تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ - 1978م) بنحوه، وبنصه في الدرر السنية لعبد الرحمن بن قاسم 342/11، ط3، 1417هـ-1997م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة)) [1].

وكذا في آخر الزمان حين تكثر الفتن، ولا تكون السلامة منها إلا بالعزلة، والفرار بالدين، قال ρ: [**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**] [2].

((وقد خرج جماعة من السلف عن أوطانهم وتغربوا خوفاً من الفتنة، وقد خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة في فتنة عثمان τ)) [3].

حب رسول الله ρ

لم يؤثر عنه ρ بعد مغادرته مكة، ورحيله عنها، إلى أن توفي أنه كان يومًا مبغضًا لها، بل كان محبًا لها، متوجعًا على فراقها، حتى بعد أن رفض أهلها دعوته، وأظهروا عداوته، واضطروه إلى الخروج منها، بل والشرك لا يزال يضرب بأطنابه في ربوعها، لم يستطع أن يقوّض من أركانه، أو يزلزل من بنيانه، يظهر ذلك بوضوح من خلال الأمارات التالية :

- حين أخبره ورقة بن نوفل أن قومه سيخرجونه من مكة قال ρ متعجبًا: [**أو مخرجي هم ؟!**] [4] قال السهيلي في شرحها: ((يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس)) . وقال : ((لما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لحب الوطن وإلفه)) . وقال : ((يؤكد ذلك أن المشار إليه حرم الله وجوار بيته، وبلدة الآباء من عهد إسماعيل عليه السلام)) [5] .
- صح عنه ρ أنه حين عزم على الخروج من مكة مهاجرًا إلى المدينة

(1) الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب 20، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1423هـ، وانظر تفصيلاً أكثر لهذا الموضوع في روضة الطالبين للنووي 474/7، 475، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ - 200م، وشرح الأربعين النووية لابن عثيمين 17/16، دار الثريا، ط1، الرياض، 1424هـ-2003م.

(2) صحيح البخاري 44/13 (7088)، وانظر معه كلام الحافظ ابن حجر على الحديث في هذا الجزء وفي الجزء 339/11، 340.

(3) عمدة القارى للبدر العيني 264/1، ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ-2001م.

(4) صحيح البخاري مع الفتح 368/12 (6982)، وصحيح مسلم 142/1 (160).

(5) الروض للسهيلي 276/1، وانظر: فتح الباري 376/12، والبداية والنهاية لابن كثير 8/3، دار الفكر، بيروت، 1402هـ-1982م، والسيرة الحلبية 392/1، دار المعرفة ، بيروت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقفِيّةُ الأمِيرِ غَازِي لِلفِكرِ القُرآنِي
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقف بالحزورة [1]، ونظر إلى مكة، وقال متحسرًا: [**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليَّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**] [2].

- وحين قدم المدينة عبّر عن ذلك مرة أخرى صراحة في قوله: [**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**] [3]، فإن مما تضمنه هذا الحديث من معنى أن حبهم لمكة لا يزال يشغل حيزًا في قلوبهم، ومن لازمه حصول الشوق والحنين إليها. كما تضمن الحديث سؤاله تعالى حبًا للمدينة يماثل حبهم لمكة أو أكثر، ومن فوائد ذلك إذا ما تحقق التخفيف من لوعة الفراق والبعد عنها، والحنين والشوق إليها. مع ملاحظة أنه ρ لم يسأل ربه إبدال حب مكة بحب المدينة وإلغاء حب مكة، وإنما سأل حب المدينة مع حب مكة، وليس بينهما تعارض؛ فإن فضل الله عظيم، والأمر في ذلك واسع، وليس ثمت محذور يمنع من ذلك.
- سؤال ربه وهو في المدينة أن يجعل قبلته إلى مكة، بدلاً من بيت المقدس، وهو الذي كان يجعل الكعبة في صلاته، وهو في مكة، بينه وبين بيت المقدس، فيجمع بينهما في قبلة واحدة، ولكن مع انتقاله إلى المدينة وتغير الاتجاه تعذر الجمع بينهما؛ لوقوع بيت المقدس إلى الشمال من المدينة، ومكة إلى الجنوب منها، فازداد شوقًا وحنينًا إليها، وأخذ يقلِّب وجهه في السماء ينتظر الإذن بالتوجه في قبلته إلى مكة، قبلة أبيه إبراهيم، ومسقط رأسه، وبلد الآباء والأجداد . قال تعالى حكاية عن ذلك: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮊ [4].
- إن من إشفاق الله على نبيه، ورحمته به، ووقوفه إلى جانبه على كل حال، وفي الكرب والشدائد على وجه الخصوص، ومنها خروجه هذا من مكة، وهجرته إلى المدينة، امتثالاً لأمره عز وجل ما قطعه تبارك وتعالى على نفسه من وعد لنبيه ρ أن يعيده إلى مكة كما أخرجه منها، مما كان له أعظم الأثر في تخفيف لوعة البعد والفراق، وكسر حدة الشوق والحنين، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﮊ (القصص: ٨٥)، روى البخاري في

(1) تعرف اليوم باسم (القشاشية). معجم المعالم الجغرافية للبلادي 98، دار مكة، ط1، مكة المكرمة، 1402هـ-1982م.
(2) صحيح الجامع الصغير للألباني 1192/2 (7089)، المكتبة الإسلامية، ط1، عمّان، 1421هـ .
(3) صحيح البخاري مع الفتح 119/4 (1889)، وصحيح مسلم 1003/2 (1376).
(4) البقرة (144)، وانظر تفسيرها عند ابن كثير 192/1، 193.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صحيحه عن ابن عباس: أن قوله تعالى: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ قـــال : ((إلى مكة)) (1). وروى ابن كـــثير في تفسيره عن الضحاك قال: ((لما خرج النبي ρ من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ إلى مكة)) (2). وقد تحقق موعود الله له في رمضان من العام الثامن الهجري حين دخل مكة فاتحاً(3)، وأقر الله عينه بدخول أهلها في الإسلام .

حب أصحاب النبي ρ مكة

لعل من أبرز ما يعبر عن حب أصحاب النبي ρ مكة تلك المشقة التي لحقت بهم لما أمروا بفراقها والهجرة عنها، ويدل على هذه المشقة أمور منها:

1-كثرة الآيات الواردة بشأن الهجرة: المحفزة عليها حيناً، والمتوعدة عليها حيناً آخر.

فمن آيات النوع الأول التي جاءت بالحث على الهجرة، والترغيب فيها، والوعد بالأجر العظيم عليها، قوله تعالى ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ (النحل: ٤١).

وقوله تعالى: ﮋ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ (البقرة: ٢١٨) ، وقوله تعالى: ﮋ ... ﮊ (الزمر: ١٠)، وقوله تعالى: ﮋ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﮊ (النحل: ١١٠)، وقوله تعالى: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ (العنكبوت: ٥٦)، وقوله تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ (آل عمران: ١٩٥)، وقوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ (النساء: ١٠٠).

ويدخل تحت هذا النوع من الآيات أيضاً الآيات التي جاءت بضرب

(1) صحيح البخاري مع الفتح 369/8 (4773).
(2) تفسير ابن كثير 403/3، وفيه أقوال أخرى في تفسير المعاد، وانظر تفسير الطبري 144/20-146، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1421هـ -2001م.
(3) صحيح البخاري 595/7 (4276).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأمثال، ببعض الأنبياء السابقين ، الذين اضطـروا إلى هجـر أوطانهم، مثل إبراهيم عليه السلام ، قـال تعالى على لسانه : ژ د د ئا ئا ئە ئە ئو ژ (الصافات: ٩٩)، فعوضه الله عن ذلك بالذرية الصالحة كما في قوله تعالى: ژ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ژ [1]، فهاجر عليه السلام من حرّان بلد الكفر إلى الأرض المقدسة، ولم يعد إلى وطنه[2]. وكذلك إسماعيل عليه السلام هاجر من الأرض المقدسة، إلـى أرض هـي أقدس منهـا، وهـي مكـة، ثـم لـم يعد إلـى وطنـه الأول[3]. وكذلك موسى هاجر ببني إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة فمات في الطريق[4]. وكذلك لوطًا هاجر مع إبراهيم وقال عنه تبارك وتعالى: ژ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑک ک ک ک گ گ ژ (العنكبوت: ٢٦).

ومن آيات النوع الثاني التي جاءت باللوم والعتاب والوعيد على التخلف عن الهجرة، والتكاسل في القيام بها، قوله تعالى ژ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ (النساء: ٩٧ -٩٩)، وقوله تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ژ (الأنفال: ٧٢).

فكان من نتائج ذلك أن الذين تأخروا عن الهجرة، من أصحاب النبي ρ، من غير عذر لما بلغتهم تلك الآيات ندموا على تفريطهم، وبادروا إليها، روى أهل التفسير أنه لما نزل قوله تعالى: ژ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ... ژ الآية، بعث النبي ρ بها إلى مسلمي مكة، فقال جندب بن ضمرة لبنيه: ((احملوني فإني لست من المستضعفين، ولا أني لا أهتدي الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة))، فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة، وكان شيخًا كبيرًا فمات في الطريق، فسخر به قومه، واستهزءوا به وقالوا: لا هو بلغ الذي يريد،

(1) مريم [49]. وانظر: أضواء البيان 644/4.
(2) تفسير الطبري 56/17، 57، وتفسير القرطبي 301/13، 87/15، وتفسير ابن كثير 184/3، 185.
(3) البداية والنهاية 154/1-160، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي 563/6، تحقيق أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1421هـ-2001م.
(4)البداية والنهاية 268/1-319.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولا هو أقام في أهله يقومون عليه ويدفن. فنزلت هذه الآية: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﮊ [1].

والهجرة في مصطلح القرآن تدل على مفارقة الوطن[2]. وعند العرب من هجران الوطن والأهل والولد[3] . وقال الشوكاني: ((أصل الهجرة هجر الوطن)) [4].

2-ويعبر عن هذه المشقة أيضاً: دعاء النبي ρ لأصحابه أن يتم الله لهم هجرتهم ، ولا يردهم على أعقابهم ؛ إدراكاً منه ρ لما يكابدونه في القيام بها، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص τ، وفيه قول النبي ρ : [**اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم**] [5]. قال ابن عبد البر في شرحه: ((معناه الدعاء لهم في أن يتم لهم هجرتهم ، سالمة من آفات الرجوع إلى الوطن، المتقرب بهجرته إلى الله عز وجل)) [6].

3-كما يعبر عنها بوضوح أيضاً المعاناة التي لحقت بأصحاب النبي ρ من المهاجرين، على إثر انتقالهم إلى المدينة، ومن صورها قول بلال τ، بعد أن أصيب بحمى يثرب ((اللهم العن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء))، وكان τ إذا أقلعت عنه الحمى يقول شعرًا، يتغنى فيه بمكة شوقًا إليها، ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذْخِرٌ وجليل [illegible]
وهل أرِدْن يوماً مياه مجنة ... وهل يبْدُوَنَّ لي شامة وطفيل [illegible]

---

(1) تفسير الطبري 281/5، وتفسير الرازي 11/11، وتفسير ابن كثير 543/1، 544، وزاد المسير لابن الجوزي 180/2، 181، المكتب الإسلامي ، ط3، بيروت، 1404هـ - 1984م.

وانظر في ترجمة جندب بن ضمرة: الإصابة 263/1 (1230)، دار الكتب العلمية، بيروت. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أسماء أخرى غيره نسب هذا الخبر إليهم.

والآيات الواردة في الخبر سبق الإحالة إليها من سورة النساء [97-100].

(2) التنوير والتحرير لابن عاشور233/4، مؤسسة التاريخ، ط1، بيروت، 1420هـ-2000م.

(3) زاد المسير لابن الجوزي 239/1.

(4) نيل الأوطار للشوكاني 177/8، دار الجيل، بيروت، 1973م.

(5) صحيح مسلم 1251/3 (1628)، وانظر: المسند 109/3 (1524)، 123(1546) وصحح المحقق إسناديهما.

(6) الاستذكار لابن عبد البر 275/7، باب الوصية في الثلث لا تتعدى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكان أبو بكر τ إذا أخذته الحمى يقول:

كل أمرئ مصبّحٌ في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله [1]

وكان عامر بن فهيرة يقول:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... والمرء يأتي حتفه من فوقه

كل أمرئ مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي أنفه بروثه [2]

ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ((أصابت الحمى الصحابة حتى جهدوا مرضاً -يعني في أول الهجرة -وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ، حتى ما كانوا يصلون إلا وهم قعود ...)) [3].

قال ابن عبد البر في التعليق على خبر إصابة المهاجرين بحمى يثرب: وفيه بيان ما عليه أكثر الناس من حنينهم إلى أوطانهم وتلهفهم على فراق بلدانهم التي كان مولدهم بها ومنشؤهم فيها [4].

ويروى أن أبا أحمد بن جحش وهو من أوائل المهاجرين إلى المدينة كان يوم الفتح يمشي بين يدي رسول الله ρ ويقول:

حبذا مكة من وادي ... بها أهلي

بها أمشي بلا ... بها ترسخ أوتادي [5]

(1) صحيح البخاري مع الفتح 119/4 (1889)، 308/7 (3926)، والإذخر والجليل نبات في مكة. وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة. وقيل: عينان. انظر: الفتح 309/7.

(2) السيرة لابن هشام 589/1، والتمهيد 192/22، والفائق للزمخشري 283/2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار المعرفة، ط2، بيروت، وفتح الباري 309/7. وانظر: مجمع الأمثال للميداني 39/1.

(3) السيرة لابن هشام 590/1، والبداية والنهاية 224/3، والسيرة الحلبية 281/2، وشرح الزرقاني على الموطأ 287/4، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ.

(4) الاستذكار 239/8.

(5) أخبار مكة للأزرقي 154/2، تحقيق رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة، ط6، مكة المكرمة، 1414هـ - 1994، وأخبار مكة للفاكهي 303/1، 238/2، 293/3، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر ومطبعة النهضة، ط2، بيروت، 1414هـ-1994م، وأنساب الأشراف للبلاذري 227/1، 191/11، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1417هـ-1996م، والمطالب العالية لابن حجر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويتعلق بهذه المسألة في الإسلام أصل عظيم من أصول الدين وهو (الإقامة بين المشركين)؛ فإن المسلم إذ كان مقيماً بين المشركين، ويترتب على إقامته تلك تكثير سوادهم، أو مشاركتهم فيما لا يسوغ المشاركة فيه شرعاً، أو إعانتهم على المسلمين، أو يخشى الفتنة في دينه، مع عدم القدرة على إظهار شعائر دينه بينهم، فضلاً عن التأثير فيهم، فإنه يشرع له في تلك الحالة أن يهاجر من وطنه –إذا كان قادراً عليه-إلى بلاد أخرى يأمن فيها على دينه ، قال تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ (النساء: ٩٧) ، قال ابن كثير: ((هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حرامًا بالإجماع)) (1).

وفي الحديث: [**أنا بريء من كل مسلم مقيم مع المشركين**] ، قال ابن عبد البر عند هذا الحديث: ((هجرة دار الكفر واجبة، على كل من آمن أن يهجر دار الكفر لئلا تجري عليه فيها أحكام الشيطان، وحرم عليه المقام حيث لا يجري عليه حكم الإسلام، لكن لا يحرم عليه في هجرته هذه الرجوع إلى الوطن الذي خرج منه إذا عادت تلك الدار دار إيمان وإسلام)) (2).

وفي الحديث أيضًا: [**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**] (3). قال الشوكاني في شرحه: ((فيه دليل على تحريم مساكنة الكفار ووجوب مفارقتهم ... ويشهد لصحته قوله تعالى ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ (النساء: ١٤٠)، وحديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده مرفوعًا: [**لا يقبل الله من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين**])) (4).

وفي الحديث أيضًا: [**لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو**

366/1، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت، والإصابة 6/11 (10)، على اختلاف بينهم وتردد في نسبة هذا الشعر إلى أبي أحمد بن جحش أو ابن أم مكتوم.

(1) تفسير ابن كثير 542/1.

(2) الاستذكار 276/7.

(3) أخرجه أبو داود في سننه برقم (2787) ، والحاكم في المستدرك (141/2) وحسنه الألباني .

(4) أخرجه النسائي في سننه (358/1) بلفظ (لايقبل الله عزوجل من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين) وصححه الحاكم (900/4) ووافقه الذهبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

جامعهم فليس منا] (1). وفيه: [**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، لا تتراءى نارهما**] (2). قال الشوكاني: ((يعني لا ينبغي أن يكونا بموضع بحيث تكون نار كل واحد منهما في مقابلة الأخرى على وجه لو كانت متمكنة من الأبصار لأبصرت الأخرى، فإثبات الرؤية للنار مجاز)) (3).

وقال ρ لجرير بن عبد الله البجلي عندما بايعه: [**أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشرك**] (4).

وقال لأعرابي بايعه: [**إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من الغنائم الخمس، وسهم النبي ρ والصفي – وربما قال: وصفيه – فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله**] (5).

وقال الإمام مالك:((لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سُبَّ فيها السلف)) (6).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والنفس تحن إلى الوطن، إذا لم تعتقد أن المقام به محرم، أو به مضرة وضياع دنيا)) (7).

وقال الحافظ ابن حجر في التعليق على قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتل مئة نفس، ثم سأل عالمًا: هل له من توبة؟ فقال له: ومن يحول بينك وبين التوبة، ثم أرشده أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يعبد الله فيه، وألا يرجع إلى بلده لأنها أرض سوء، قال الحافظ: ((فيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية ... وأن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والاشتغال بغيرها)) (8).

وقال السعدي في تفسيره: ((المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه

(1) السلسة الصحيحة 435/5.
(2) جزء من حديث أخرجه أبو داود (45/3) رقم (2645) ، والبيهقي (131/8) ، والترمذي (1604) 155/4 وقد أكمله تبعاً للبخاري بالإرسال .
(3) نيل الأوطار 177/8.
(4) أخرجه أحمد برقم (19258) 365/4 ، والبيهقي 13/9، والحاكم 577/3 وصححه الألباني .
(5) إرواء الغليل 32/5.
(6) أحكام القرآن لابن العربي 611/1، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1408هـ - 1988م، وتفسير القرطبي 332/5.
(7) فتاوى ابن تيمية 463/27، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد، ط2، 1398م.
(8) فتح الباري 598/6، وانظر الحديث رقم (3470) ص 591 من المجلد المذكور، وانظر: تفسير ابن كثير 543/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في غاية النقص ... وهو بصدد أن يفتن عن دينه، خصوصًا إن كان مستضعفًا، فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله، وجهاد أعداء الله، ومراغمتهم... وحصل له سعة في رزقه... واعتبر ذلك بالصحابة ψ، فإنهم لما هاجروا في سبيل الله، وتركوا ديارهم، وأولادهم، وأموالهم لله كمل بذلك إيمانهم، وحصل لهم من الجهاد العظيم، والنصر لدين الله ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم من الفتوحات، والغنائم ما كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل من فعل فعلهم، يحصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة))[1].

وقال صاحب[2] تفسير روح البيان: ((واعلم أن الميل إلى الأوطان وإن كان لا ينقطع عن الجَنَان لكن يلزم للمرء أن يختار من البقاع أحسنها ديناً، حتى يتعاون بالإخوان))[3].

وقال: ((إذا كان الوطن دار شرك، وكذا إذا كان أرض المعاصي والبدع، وهو لا يقدر على تغييرها والمنع منها، فينبغي أن يهاجر منها إلى أرض المطيعين، من أرض الله الواسعة، ويستسهل الهجرة عن وطنه ذلك، ويحتمل الغربة في سبيل ذلك))[4].

((وأفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع لله ورسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل، وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب التقوى، والطاعة، والخشوع، والخضوع، والحضور، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: "هلم إلى الأرض المقدسة ! فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدًا، وإنما يقدس العبد عمله"))[5].

ولهذا كان مقام النبي ρ ومن معه من المؤمنين بالمدينة أفضل من مقامهم بمكة، مع أن مكة كانت في نفسها خير أرض الله، وأحب أرض الله إليه، لكن لما كانت دار كفر بسبب سكانها كانت المدينة أفضل منها، ولهذا فإن قول الله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ (النحل: ١١٢) ، نزلت في مكة لما

(1) تفسير السعدي 393/1، 394 بتصرف طفيف.
(2) هو اسماعيل حقي بن الشيخ مصطفى الاستنابولي ، ولد سنة 1063هـ وتوفي سنة 1137هـ . وله ترجمة في كشف الظنون للبغدادي 219/5، دار الفكر، بيروت، 1410هـ-1990م، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة 266/2، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث، بيروت .
(3) تفسير روح البيان 564/6.
(4) السابق، 619/6.
(5) فتاوى ابن تيمية 283/18.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كانت دار كفر [1].

وهكذا ((فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسق في ذلك الوقت، فإن سكنها غير ما ذكرنا وتَبَدَّلَت بغيرهم فهي دارهم)) [2].

مواساة الله للمسلمين على

قص الله تعالى على المسلمين أخبار بعض الماضين ممن تعرضوا للتهديد بالطرد من أوطانهم، وعلى رأس هؤلاء أنبياء الله، وفي هذا تسلية ومواساة وتعزية وتصبير على تحمل هذا المصاب الذي لحق بهم، فأخبر تعالى عن عامة رسله عليهم السلام أنهم تعرضوا لذلك، فقال تعالى: ﮋ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ (إبراهيم: ١٣)، ثم أخبر عن بعض هؤلاء الرسل خاصة وسماهم بأسمائهم، منهم:

نبي الله شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﮊ (الأعراف: ٨٨) فقال شعيب عليه السلام: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ، أي كارهين للخروج من الوطن، وكارهين للكفر على حد سواء.

ومنهم نبي الله لوط عليه السلام، قال تعالى على لسان قومه: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮊ (الشعراء: ١٦٧) وقال: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ (النمل: ٥٦) وقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘﮊ (الأعراف: ٨٢). قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ((ومن أعظم خبائثهم (أي قوم لوط) تكذيب نبي الله لوط ، وتهديدهم له بالإخراج من الوطن)) [3].

كما أخبر تعالى أن الإخراج من الوطن من الوسائل التي اتبعها عدو الله فرعون في تنفير بني إسرائيل عن موسى عليه السلام، حيث ادعى زورًا وبهتانًا أن موسى إنما جاء ليخرج بني إسرائيل من أرضهم، فخاطب فيهم الأحاسيس والمشاعر المتعلقة بالوطن، لما يعلم من شدة أثر ذلك على نفوسهم، ليكونوا أكثر تحصينًا وممانعة في الاستجابة إليه، وأكثر مدافعة له،

(1) السابق 282/18، 283، والآية رقمها [112] من سورة النحل.
(2) السابق 282/18.
(3) أضواء البيان 648/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال تعالى: ژ ۋ ې ې ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ... ژ (الشعراء: ٣٤ - ٣٥) وقال: ژ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ ژ (طه: ٥٧) ، وقـال : ژ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑک ک ک ک ژ (الأعراف: ١٠٩-١١٠) وقال: ژ ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ... ژ (طـه: ٦٣) وقـال: ژ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤڤ ڤ ڤ ڤ ژ (الأعراف: ١٢٣).

قال الألوسي في التعليق على موقف فرعون هذا: ((إنما قال ذلك ليبرز أن مراد موسى ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم، بل إخراج القبط من وطنهم، وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية، حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد، ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة)) (1).

ومن التعزية أيضاً ما وعدهم به تبارك وتعالى من تكفير السيئات، ودخول الجنات، والثواب العظيم يوم القيامة بسبب هذا الخروج الذي تعرضوا له واضطروا إليه، فقال تعالى: ژ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ (آل عمـران: ١٩٥).

هذا في الآخرة ، أما في الدنيا فقد جعل تعالى ذلك سبباً في استحقاقهم نصيباً مفروضاً من الفيء، فقال عز وجل: ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ (2).

بعض الأحكام المترتبة على إخراج المسلمين من وطنهم (مكة)

رتّبَ تعالى على هذا الخروج الذي تعرض له المسلمون واضطروا معه إلى الجلاء عن وطنهم (مكة) بعض الأحكام الشرعية، منها:

1-جعل تعالى المشاركة في إخراج المسلمين من ديارهم، أو الإعانة عليه، من الأسباب الموجبة لقطع الموالاة بينهم، فقال تعالى: ژ ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ژ (الممتحنة: ٩).

في حين أنه جعل عدم المشاركة في إخراج المسلمين من ديارهم، من الأسباب المبيحة للبر بهم، والإحسان إليهم، فقال تعالى: ژ ڃ چ چ چ

(1) تفسير الألوسي 226/16، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(2) الحشر [8]، وانظر: تفسير ابن كثير 337/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ (الممتحنة: ٨).

2-جعل تعالى خروج المسلمين من وطنهم (مكة) قسراً على أيدي أعدائهم من الأسباب الموجبة لقتالهم إياهم فقال تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ (البقرة: ٢١٧). وقال تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ (البقرة: ٢٤٦)، وقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ (الحج: ٣٩ – ٤٠). وقال: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ (التوبة: ١٣).

الفترة المدنية

تأمين الجبهة الداخلية للوطن الجديد

لما قدم ρ المدينة كان من أول التدابير التي اتخذها من أجل صيانة هذا الوطن، وحفظ أمنه، أن عقد معاهدة [1] مع غير المسلمين من أهلها، وهم اليهود، وقد نصت بعض فقرات هذه المعاهدة على وجوب اشتراك اليهود في الدفاع عن المدينة، إلى جانب المسلمين، إذا تعرضت لعدوان خارجي [2].

ومع أن الكلمة العليا في المدينة ليست لليهود، وإنما لأصحاب النبي ρ من الأوس والخزرج، إلاّ أن ذلك من شأنه تأمين الجبهة الداخلية للمدينة، لسد الطريق أمام أي خطر قد يتسرب إليها من الداخل، ووضع كل الأطراف في مواجهة مسؤولياتهم المباشرة تجاه هذا الوطن المشترك، وليعرف كل طرف ما له فيه من حقوق، وما عليه من واجبات، وأن أي إخلال بشيء من بنود هذه المعاهدة يعتبر خيانة تستوجب العقاب الصارم والجزاء الرادع، كما أن من شأنه أن يبعث على الطمأنينة والارتياح لدى الجميع، فيأمن كل طرف الآخر، مما يساعد على التعايش السلمي بين الطرفين، وفي هذا اعتراف ضمني من المسلمين بحق الأقلية اليهودية في المدينة في

(1) انظر: السيرة لابن هشام 501/1، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي لمحمد حميد الله 57، دار النفائس، ط5، بيروت، 1405هـ-1985م، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ لظافر القاسمي 31، دار النفائس، ط5، بيروت، 1405هـ-1985م، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري 282/1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1412هـ -1992م، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله 306، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1412هـ-1992م.

(2) منها: (وأن بينهم النصر على من دهم يثرب) و(وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة) و(وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المواطنة، بموجب نصوص هذه المعاهدة [1]، لكن تحت إمرة المسلمين [2]، مع أن للمسلمين دينهم ولليهود دينهم [3].

وهذا إنما كان في أول الإسلام، قبل أن يأمر النبي بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب[4]، فلما أمر به اختصت جزيرة العرب بذلك، إلا ما دعت الحاجة إليه، وبقيت على أصلها في باقي بلدان المسلمين، حقًا مكتسبًا لأهلها، ولو كانوا من غير المسلمين[5]، ويبقون فيها أهل وطن، تقر أراضيهم بأيديهم[6]، تحت ولاية المسلمين العامة، وإشرافهم المباشر.

حب رسول الله ρ وأصحابه المدينة

وحين استقر به المقام ρ في المدينة أخذ يدعو ربه: [**اللهم حبب إلينا المدينة...**] [7] فقذف الله حبها في قلوبهم، فكانت أحب إليه من مكة، كما جزم بذلك الزرقاني، ونقل الجزم به عن بعضهم [8]، ولفرط حبه ρ لها كان إذا قدمها من سفر حرّك دابته مسرعًا شوقًا إليها.

خرّج البخاري في صحيحه، من حديث أنس τ قال: [**كان رسول الله ρ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته، وإن كانت دابة حرّكها**] .

وفي رواية: [**حركها من حبها**]. وساق طريقًا أخرى للحديث وفيها: ((جدرات)) بدل ((درجات)). وذكر الحافظ أن معنى أوضع: أي أسرع السير. ونقل ترجيح بعضهم للفظ ((جدرات)). وقال: وفي الحديث دلالة

(1) انظر: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ 37، 41، 42، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية 316، 317.

(2) جاء فيها: (وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد)، وجاء أيضًا: (وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ').

(3) جاء فيها: (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم).

(4) انظر: صحيح البخاري مع الفتح 312/6 (3167، 3168)، وصحيح مسلم 1388/3 (1767)، وسنن أبي داود 423/3، 424 (3029، 3030)، تعليق عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص، وسنن الترمذي 156/4 (1606، 1607)، تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي، ط1، مصر 1382هـ-1962م، وصحيح الجامع للألباني 106/1 (232).

(5) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 93/11، 94، وفتح الباري 198/6.

(6) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام 655/28.

(7) تقدم تخريجه في ص 34.

(8) شرح الزرقاني على الموطأ 286/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن ، والحنين إليه [1].

وخرّج مسلم في صحيحه، من حديث أنس τ في خبر رجوعهم من خيبر سنة سبع قال: [**فانطلقنا حتى إذا رأينا جُدُر المدينة هششنا إليها، فرفعنا مَطِيَّنَا، ورفع رسول الله ρ مَطِيَّتَه**] [2]. ومعنى هششنا: أي نشطنا، وخففنا، وانبعثت نفوسنا إليها [3]. ومعنى فرفعنا مطينا: أي أسرعنا بها [4].

وكان ρ إذا غادرها في سفر أسرع في العودة إليها، ولهذا ترجم الإمام البخاري لأحد أبواب كتاب الجهاد بقوله: (باب السرعة في السير)، وعلّق عليه الحافظ بقوله: أي في الرجوع إلى الوطن [5]. وذكر تحته حديث أبي حميد الساعدي، في رجوعهم من تبوك، وفيه قول النبي ρ: [**إني متعجل إلى المدينة، فمن أراد منكم أن يتعجل معي فليتعجل، فلما أشرف على المدينة قال: هذه طابة. فلما رأى أُحدًا قال: هذا جبل يحبنا ونحبه...**] [6]. قال الحافظ في شرحه: أي إني سالك الطريق القريبة، فمن أراد فليأت معي، يعني ممن له اقتدار على ذلك، دون بقية الجيش [7]. ثم ذكر طريقًا أخرى للحديث ورد فيها التصريح باسم الطريق الذي سلكه، وغرضه منه، وهي من طريق سليمان بن بلال، وأوله: [**أقبلنا مع رسول الله ρ حتى إذا دنا من المدينة أخذ طريق غراب**[8]**؛ لأنها أقرب إلى المدينة وترك الأخرى**] [9]. ثم ساق الحديث بطوله.

وكان عمر بن الخطاب τ لفرط حبه المدينة يدعو الله أن يجعل موته فيها، روى البخاري عن عمر τ، أنه كان يقول: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ρ) [10].

(1) صحيح البخاري مع الفتح 726/3، 727 (1802).
(2) صحيح مسلم 1047/2، 1048 (1365).
(3) شرح النووي على صحيح مسلم 226/9.
(4) النهاية لابن الأثير 244/2 (رَفَعَ)، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
(5) صحيح البخاري مع الفتح 161/6.
(6) السابق 402/3 (1481)، 161/6.
(7) فتح الباري 406/3.
(8) غراب: جبل أسود يقع غرب المدينة، ويبعد عنها حوالي سبعة أكيال، يمر به طريق الشام الرئيسي، ويعرف اليوم بجبل (حَبَشي). انظر: معجم المعالم الجغرافية للبلادي 223. والطريق المار بهذا الجبل الذي سلكه النبي ρ سيكون حتما قبله بمسافة قد تطول وقد تقصر، والله أعلم.
(9) فتح الباري 161/6.
(10) صحيح البخاري مع الفتح 119/4 (1890).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد ظل ρ وفيًا لهذه المدينة، حفيًا بها، وبأهلها، حتى بعد أن فتحت مكة، ودخل أهلها في الإسلام، لم ينتقل للإقامة بها، وبقي في المدينة، وما زال لسانه يلهج بذكر فضائلها، والثناء على أهلها، إلى أن توفي ρ .

ففي حنين التي أعقبت فتح مكة مباشرة ظن أصحابه ρ من الأنصار أنه ربما سيترك المدينة قريباً، وينتقل للإقامة بين أهله وقومه في مكة، بعد أن رأوا حفاوته بقومه على إثر دخولهم في الإسلام، وإغداقه أموال حنين عليهم [1]، فجمعهم ρ وخاطبهم معددًا فضائلهم، ذاكراً مآثرهم، معترفًا لهم بالسبق، والجميل، والمعروف، والإحسان، قائلاً: [**أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم وصدِّقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريدًا فآويناك ، وعائلاً فأغنيناك**] إلى أن قال: [**أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت إمرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلك الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**] [2].

وكان من آخر ما أوصى به المسلمين في مرض موته ρ قوله: [**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**] [3].

وعدم انتقال النبي ρ أو أحد من أصحابه إلى مكة للإقامة بها بعد فتحها يعود إلى أن انتقالهم من مكة إلى المدينة إنما كان استجابة لأمر شرعيّ[4]، فكذلك العودة إليها لا تكون إلا بأمر شرعي مثله، وإلاَّ عُدَّ ذلك مخالفة صريحة للأمر الأول.

ترجم البخاري -رحمه الله -لأحد أبواب كتاب (مناقب الأنصار) بقوله: (باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه) وساق تحته حديثًا من

(1) انظر: فتح الباري 646/7.
(2) صحيح البخاري مع الفتح 644/7 (4330)، وصحيح مسلم 733/2-739 (1059-1062)، ومسند أحمد 253/18-255 (11730) واللفظ له.
(3) صحيح البخاري مع الفتح 151/7 (3799) ومعنى كَرِشي وعيبتي قال الحافظ: بطانتي وخاصتي.
(4) فتح الباري 269/7، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري 201/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

طريق العلاء بن الحضرمي قال: قال رسول الله ρ: [**ثلاث للمهاجر بعد الصّدَرَ**][1]، وعرّف الحافظ: الصَّدَر بأنه الرجوع من منى، وقال في شرح الحديث: الإقامة بمكة كانت حرامًا على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيح لمن قصدها بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها. ونقل الحافظ كلام النووي وفيه: ((إن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة)). ثم نقل الحافظ عن عياض أنه قول الجمهور. ثم قال عياض: ((وأجازه لهم جماعة يعني بعد الفتح)). وقال عياض أيضًا: ((واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، وأن سكنى المدينة كان واجباً لنصرة النبي ρ ومواساته بالنفس، وأما غير المهاجرين فيجوز لهم سكنى أي بلد أرادوا، سواء مكة أو غيرها بالاتفاق)). ثم قال الحافظ ابن حجر: ((ويستثنى من ذلك من أذن له النبي ρ بالإقامة في غير المدينة)) [2].

وقال الحافظ ابن عبد البر: ((ولم تكن الهجرة (مقتصرة) في ترك الوطن وتحريم الرجوع إليه على الأبد إلا على أهل مكة خاصة، الذين آمنوا به من أهلها واتبعوه؛ ليتم لهم بالهجرة الغاية من الفضل الذي سبق لهم، فعليهم خاصة افترضت الهجرة المفترض فيها البقاء مع النبي ρ حيث استقر والتحول معه حيث تحول؛ لنصرته، ومؤازرته، وصحبته، والحفظ لما يشرعه، والتبليغ عنه، ولم يرخص لواحد منهم في الرجوع إلى الوطن وترك رسول الله ρ)) [3] .

وقال: ((الهجرة كانت عليهم باقية إلى الممات، وهم الذين أطلق عليهم المهاجرون، ومدحوا بذلك دون غيرهم)) [4].

قلت: ولهذا لم يؤثر عن أحد من أصحاب النبي ρ الانتقال إلى مكة للإقامة بها، بل كانوا يستعيذون بالله تعالى أن يعودوا كالأعراب بعد هجرتهم؛ لأن الأعراب لم يتعبدوا بالهجرة التي كان يحرم بها على المهاجر الرجوع إلى وطنه[5]، بل قد بلغ بهم الأمر إلى الحد الذي كانوا يكرهون معه الموت في البلاد التي أمروا بالخروج منها، حتى عدّوا من

(1) صحيح البخاري مع الفتح 313/7 (3933).
(2) فتح الباري 313/7، 314.
(3) الاستذكار لابن عبد البر 276/7.
(4) السابق.
(5) السابق 275/7.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مات بها بعد الهجرة عنها (بائساً).

روى البخـــاري في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص τ قـال : [**جاء النبي ρ يعودني وأنا بمكة –وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها – قال: يرحم الله ابن عفراء ...**] [1].

ولمسلم بلفظ: [**فقال: يا رسول الله، خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة**] [2]. وللنسائي من طريق جرير بن يزيد، عن عامر بن سعد: [**لكن البائس سعد بن خولة مات بالأرض التي هاجر منها**] [3]. وله من طريق بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد: [**فقال سعد: يارسول الله، أموت بالأرض التي هاجرت منها؟ قال: لا إن شاء الله تعالى**] [4].

قال الحافظ ابن حجر: ((رثى النبي ρ لسعد بن خولة أن مات بمكة، والمرثية تعديد محاسن الميت، والمراد هنا التوجّع له لكونه مات في البلد التي هاجر منها)) [5]. وقال ابن عبد البر: ((قال (سعد) ذلك تحزنًا وإشفاقًا من بقائه في موضع قد هجره لله ولرسوله)) [6].

وسعد بن خولة τ مات بمكة، بعد هجرته منها، في حجة الوداع، على الصحيح، كما جزم بذلك الحافظ ابن حجر [7]، وهذا يعني أن موته كان بعد فتح مكة التي أغلق فيها باب الهجرة بعامين، مما يدل على أن أصحاب النبي ρ من المهاجرين كانوا يكرهون العودة إلى مكة والإقامة بها، ويحرصون على ملازمة النبي ρ والبقاء إلى جانبه في المدينة، حتى هذا التاريخ، ورغم الفسحة التي حصلت لهم بعد الفتح.

وروى ابن سعد من طريق الواقدي قال: لا نعلم أحداً من المهاجرين من أهل بدر رجع إلى مكة، يعني بعد وفاة النبي ρ ، فنزلها غير أبي

(1) صحيح البخاري مع الفتح 427/5 (2742).
(2) صحيح مسلم 1253/3 (1628).
(3) انظر: فتح الباري 429/5، ولم أقف عليه عند النسائي.
(4) السنن الكبرى للنسائي 103/4 (6457/5)، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ - 1991م.
(5) فتح الباري 313/7، 316.
(6) الاستذكار لابن عبد البر 275/7.
(7) فتح الباري 429/5.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سبرة، فإنه رجع إلى مكة بعد وفاة النبي ρ فنزلها، فكره ذلك له المسلمون، وولده ينكرون ذلك ويدفعونه، أن يكون رجع إلى مكة فنزلها بعد أن هاجر منها، ويغضبون من ذكر ذلك [1].

ولا يشكل على هذا خروج كثير من الصحابة، ومن بعدهم من الفضلاء من المدينة، بعد وفاة النبي ρ وسكناهم بلادًا غيرها؛ فإن ذلك إنما كان خاصًا بزمنه ρ [2]، ومن جهة أخرى فإنهم إنما خرجوا لمقاصد صحيحة: كنشر العلم، وفتح بلاد الشرك، والمرابطة في الثغور، وجهاد الأعداء، وهم مع ذلك على اعتقاد فضل المدينة، وفضل سكناها[3].

أما سائر الناس من غير أهل مكة فقد كانت الهجرة إلى المدينة في حقهم مستحبة، ثم أغلق باب الاستحباب بعد الخندق حين قال النبي ρ : [**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**] [4]، وبعد أن ضاقت المدينة بأهلها، فجعل رسول الله ρ هجرتهم في رحالهم [5]، ثم أغلق باب الهجرة عمومًا بعد فتح مكة حين قال النبي ρ : [**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**] [6]، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به، أو نزل به عدو[7].

بناء الوطن الجديد

وحين استقر به المقام ρ في المدينة هو وأصحابه رضوان الله عليهم، وصارت المدينة لهم عاصمة، وحصناً، وحرزاً، وملاذاً، ومأوى، أخذوا في عمارتها، عمارة مادية وعمارة معنوية.

أما العمارة المعنوية فبالإسلام، والإيمان، والذكر، وتلاوة القرآن، والصدقة، والصيام، والصلاة، فساد الأمن والاطمئنان والعدل في ربوعها، وذلك مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ

(1) الطبقات لابن سعد 443/5، دار بيروت، بيروت، 1405هـ - 1985م.
(2) فتح الباري 318/13.
(3) السابق 213/13.
(4) صحيح البخاري مع الفتح 467/7 (4109، 4110).
(5) طبقات ابن سعد 291/1، والثقات لابن حبان 261/1، دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد، 1395هـ/1975م، والبداية والنهاية 41/5، والمنتظم لابن الجوزي 218/3، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1412هـ-1992م.
(6) صحيح البخاري مع الفتح 6/6 (2783)، وصحيح مسلم 986/2 (1353).
(7) السيرة الصحيحة لأكرم العمري 238/1، وانظر تفصيلا أكثر لهذا الموضوع في: فتح الباري 57/4، 46/6، 220، 270/7، 271، ونيل الأوطار للشوكاني 177/8-179.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ٺ ٻ ٻ ڤ (الأنعام: ٨٢). وهذا معنى عظيم يغفل عنه كثير من الناس حين يتعلقون بالأسباب المادية فقط ويغفلون عن الأسباب المعنوية.

قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله -في تفسير الآية: ((الأمن من: المخاوف، والعذاب، والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم. فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كما لها.

ومفهوم الآية الكريمة أن الذين لم يحصل لهم الأمران لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء)) [1].

وكما قال تعالى أيضاً: ﭿ ۋ ۋ ۅ ۅۉ ۉ ې ېې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئېئى ئى ئى ی ی ی ی ﭾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

قال ابن كثير -رحمه الله -في شرحها: ((ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق، حرج ؛ لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث يشاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبه يتردد، فهذا من ضنك المعيشة)) [2] .

وكما قال تعالى أيضاً: ﭿ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ﭾ (النور: ٥٥) .

قال ابن كثير -رحمه الله -: ((فالصحابة ψ لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ، بأوامر الله Y، وأطوعهم لله، كان نصرهم بحسبهم، أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وحكموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصّر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم)) [3].

كما عمروها أيضاً بالدعاء لها اقتداءً بفعل إبراهيم الخليل عليه

(1) تفسير ابن سعدي 39/2.
(2) تفسير ابن كثير 168/3.
(3) تفسير ابن كثير 302/3.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعلى نبينا الصلاة والسلام حين دعا لمكة، قال تعالى حكاية عنه: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﮊ (البقرة: ١٢٦).

فكان ρ يدعو للمدينة، ومن دعائه قوله: [**اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين ...**] . وفي الباب أحاديث أخرى كثيرة [1].

أما العمارة المادية فبالحرث، والزرع، والرعي، والصناعة، التجارة، والتعليم ، وبناء المساجد والمساكن ، والبيع والشراء ،إلى غير ذلك من الأنشطة المادية المحسوسة ، وذلك استجابة لقول الحق تبارك وتعالى: ﮋ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ... ﮊ (هود: ٦١). قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله-في شرحها: ((أي خلقكم منها، واستخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض: تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها ...)) [2].

ومن عمارتها أيضاً الدفاع عنها، وحراستها من الأعداء، فإن مما عاهد عليه رسول الله ρ اليهود حين قدم المدينة -كما مر بنا قريباً -أن يلتزموا بدفع قسط من نفقات الحرب عن المدينة إذا دهمها عدو [3]، فإذا كان هذا متعيناً على اليهود لكونهم فقط يشاركون المسلمين في استيطان المدينة فإنه يكون في حق المسلمين أشد تعيّناً؛ لكون القتال أصلاً متوجهاً لهم بسبب دينهم، كما أن اليد العليا والدولة في المدينة لهم.

وقد جاءت نصوص الشريعة ببيان فضل الحراسة في سبيل الله، ومنها قوله ρ : [**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**] [4]، وقوله: [**حرم على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من**

(1) صحيح مسلم 1001/2 (1374). وكتاب: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة/صالح الرفاعي 215-232 ومواضع أخرى، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1413هـ- 1992م .
(2) تفسير ابن سعدي 374/2، 375.
(3) انظر فيما تقدم مبحث: تأمين الجبهة الداخلية للوطن الجديد.
(4) سنن الترمذي 175/4 (1639)، وصحيح الجامع للألباني 756/2 (4113).

This file was downloaded from QuranicThought.com

خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر] (1).

وقد مارس رسول الله ρ هذا الأمر عملياً هو أصحابه ψ:

ومن ذلك أنه جعل عبد الله بن عمر τ في غزوة أحد ضمن حرس المدينة بعد أن استبعده من المشاركة في القتال لصغر سنه (2).

وفي غزوة الخندق رتب ρ حرساً على المدينة يتناوبون حراستها، بقيادة كل من سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل (3).

كما ورد أن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قاما مرة بحراسة المدينة ليلاً (4).

وأن أهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم رسول الله ρ وقد سبقهم إليه واستبرأ لهم خبره وطمأنهم قائلاً: [**لم تُراعُوا لم تُراعُوا**] (5).

ومن القواعد المقررة شرعاً عند الفقهاء: أن الجهاد يصبح متعيناً على من نزل ببلده عدو (6).

والدفاع عن الأوطان لا يكون بالسنان فقط كما قد يتوهم، بل قد يكون بالسنان، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالبنان والبيان، وتقدر كل حالة بقدرها، حسب الظروف والقرائن التي تحتف بها، بما هو أجدى وأنفع في حلها.

النبي ρ يعاقب على بعض الجرائم في المدينة

فعل ذلك ρ مع يهود بني النضير في المدينة، فأجلاهم عنها وطردهم منها، عقوبة لهم على

(1) المستدرك للحاكم 92/2 (2431)، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ/1990م، ومسند عبد بن حميد 422/1 (1447)، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1408هـ/1988م، وصحيح الجامع للألباني 600/1 (13136).

(2) الإصابة 82/1 (317).

(3) طبقات ابن سعد 67/2.

(4) المستدرك 4 / 419 (8136).

(5) صحيح مسلم 1802/4 (2307)، وسنن ابن ماجة بتحقيق الأعظمي130/2، 131 (2798)، شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)، ط2، الرياض، 1404هـ-1984م، وسنن ابن ماجة بتحقيق الألباني 471 (2772)، مكتبة المعارف، ط1، الرياض.

(6) انظر: المغني 8/13 ، تحقيق التركي، والحلو، هجر للطباعة، ط2، القاهرة، 1412هـ - 1992، وفتح الباري 45/6، ونيل الأوطار 25/8.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

غدرهم بالمسلمين، وخيانتهم لهم، ونقضهم العهود والمواثيق المبرمة معهم [1]، كما طبق العقوبة نفسها على بعض مشركي مكة يوم الفتح، الذين بقوا على دينهم ولم يقاتلوا المسلمين، ممن ساهموا في إخراج المسلمين من قبل من وطنهم (مكة)، جزاءً وفاقاً، امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى ژ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ژ (البقرة: ١٩١)، أي أن فتنة الإخراج من الوطن أشد ألماً وأعظم أثراً من القتل؛ لما فيه من المحنة والبلاء الذي ينزل بهم يتعذبون به ويتمنون معه الموت وليسوا بميتين، ومنه قول الشاعر:

لقتل بحد السيف أهــون   علـى النـفس مـن قتـل

وقد قيل لحكيم: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى معه الموت [2].

ومصداق ذل أن الله تعالى قرنه بقتل النفس في غير ما آية من كتابه قال تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ژ (النساء: ٦٦)، وقال: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ژ (البقرة: ٨٤)، وقال: ژ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ... ژ (البقرة: ٨٥)، إلى أن قال: ژ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ژ [3]، وقال تعالى: ژ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ژ (الحشر: ٣)، وقال: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ژ (الممتحنة: ٨)، وقال: ژ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ژ (الممتحنة: ٩).

ولهذا فقد جعله الله في الإسلام عقوبة على بعض الجرائم، منها:

1 - الزنـــى :

جعل الإسلام عقوبة الزاني غير المحصن (البكر) الجلد مئة جلدة، والتغريب عن الوطن لمدة عام، وقد جلد ρ وغَرَّبَ، وكذلك أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عن الجميع، وقد غَرَّبَ عمر

(1) سيرة ابن هشام 199/3.
(2) الكشاف للزمخشري 118/1، والبحر المحيط لأبي حيان 74/2، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ-2001م. وتفسير أبي السعود 203/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وتفسير الألوسي 75/2.
(3) بدائع الفوائد 84/1، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، مكة المكرمة، 1416هـ - 1996م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلى الشام، وغَرَّبَ عثمان إلى مصر، وغَرَّبَ علي إلى البصرة[1]. وعلة التغريب: إيحاش المُغَرَّب بالبعد عن الأهل والوطن [2]. قال ابن العربي: ((يرجى عند تبديل المحل تبديل الحال، ومن المعلوم أن للمجاورة تأثيرًا في الطاعة والمعصية)) [3]. ومن كان غريبًا لا وطن له غُرِّب إلى غير البلد التي واقع فيها المعصية [4]، واستثني من التغريب الأمة إذا زنت، لأنه لا وطن لها، كما أن في نفيها قطع حق سيدها من الانتفاع بها [5].

2- الحـرابـــة :

جعل الإسلام الإبعاد عن الوطن إحدى العقوبات التي تطبق في حق المحاربين، إما على التنويع أو على التخيير، على خلاف بين أهل العلم في ذلك، ليس هذا محل التفصيل فيه، قال تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ (المائدة: ٣٣)، وفي حين يرى البعض أنه ينبغي أن يحبس في البلدة التي ينفى إليها، وآخرون يرون أنه يكتفى بحبسه في بلده، فإن رأي الإمام الشافعي رحمه الله أن في النفي من البلد ومفارقة الوطن والعشيرة من الخذلان والذل ما يكفيه [6].

3- أهل المعاصي والمخنثين [7]:

ثبت من فعل النبي ρ ومن بعده نفي بعض أهل المعاصي والمخنثين [8]، تعزيرًا لا حدًا، وهو الفرق بينه وبين ما قبله في حق المحارب والزاني غير المحصن، قال شيخ الإسلام: ((والتعزير أجناس... ومنه ما

---

(1) سنن الترمذي 4/ 44 (1438)، والمغني 322/12-326، والروضة 305/7-309، ويل الأوطار 249/7-256، وسبل السلام للصنعاني 6/4-10، تحقيق أبو الفتح البيانوني وخليل ملا خاطر، مطبوعات جامعة الإمام، ط2، الرياض، 1400هـ، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني 181/4، دار الفكر، بيروت.
(2) مغني المحتاج 181/4.
(3) فتح الباري 171/12.
(4) سبل السلام 10/4.
(5) صحيح البخاري وانظر معه الفتح 171/12، 172 (6839).
(6) صحيح البخاري وانظر معه الفتح 112/12، 113 (6802)، ونيل الأوطار 336/7، 337، والآية رقمها [33] من سورة المائدة.
(7) ترجم البخاري لأحد أبواب كتاب الحدود بـ (باب نفي أهل المعاصي والمخنثين) انظر: فتح الباري 165/12.
(8) السابق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يكون بالنفي عن الوطن...)) [1]، وقال تلميذه ابن القيم: ((والتعزير منه ما يكون... بالنفي عن الوطن...)) [2]، وقال النووي: ((ثبت في الحديث نفي المخنثين وهو تعزير)) [3].

وفي الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال: [**لعن النبي ρ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم، وأخرج فلاناً، وأخرج عمر فلاناً**] [4].

وفي الباب أحاديث أخر ذكرها الحافظ ابن حجر وغيره، وذكر المُبْهَمَيْن في هذا الحديث، كما ذكر غيرهما ممن نفاه النبي ρ، وعلّة نفيهم، وقال: ((في هذه الأحاديث مشروعية إخراج كل من يحصل به التأذي للناس عن مكانه إلى أن يرجع عن ذلك أو يتوب)) [5].

وهو تشريع كان معمولاً به في الجاهلية [6].

وقد سلط الله هذه العقوبة على بني إسرائيل من قبل حين عصوا رسله، وكذبوا أنبياءه، وقتلوا بعضهم، قال تعالى: ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ ژ (الأعراف: ١٦٧)، فإن سوء العذاب الذي توعد الله به بني إسرائيل في هذه الآية هو الحرمان من الوطن -في قول-وهو حاصل في الدنيا، وممتد إلى يوم القيامة، قال الرازي: ((وهذه الآية نزلت في اليهود على أنه لا دولة لهم، ولا عز، وأن الذل يلزمهم، والصغار لا يفارقهم)) [7].

قلت: وهذا الذي ذكره الرازي يشهد التأريخ على صحته، فإنه لم يعرف لليهود عبر تاريخهم الطويل دولة، ولا كيان، ولا حضارة كسائر الأمم، وكانوا على مر الأيام قذًا، وشجًا، ووباءً، تتقاذفه الأمم، ابتداءً من حرمانهم من دخول الأرض المقدسة، زمن موسى عليه السلام، حتى انقرض

(1) مجموع الفتاوى 107/28.
(2) الطرق الحكمية لابن القيم 263، تحقيق أحمد الزعبي، دار الأرقم، ط1 بيروت، 1419هـ-1999م.
(3) روضة الطالبين 309/7.
(4) صحيح البخاري مع الفتح 346/10 (5886)، 165/12 (8634).
(5) انظر: فتح الباري 245/9، 246، 346/10، 347، 560، 165/12، 166.
(6) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 64/2، 65، واللسان 77/8 (خلع)، وفتح الباري مع الصحيح 252/12، وانظر معه الحديث رقم (6899) 240/12، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي 489/5، 490، منشورات الشريف الرضي، ط1، 1380هـ.
(7) تفسير الرازي 35/15.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ذلك الجيل، ثم قهرهم على أيدي الملوك من اليونانيين، والكلدانيين، والآشوريين، إلى أن صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم[1]، ومرورًا بالسبي الذي تعرضوا له على أيدي البابليين، زمن بختنصر، والجلاء من بلاد الشام، على أيدي الرومان[2]، والجلاء من المدينة على أيدي المسلمين[3]، ثم من جزيرة العرب زمن عمر الفاروق τ [4]، وانتهاءً باضطهادهم في العصور الحديثة على أيدي النازيين[5]، ثم اتفاق أوروبا وأمريكا أخيرًا على الخلاص منهم بالقذف بهم في نحور المسلمين[6]، ((ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصارًا للدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام، وذلك آخر الزمان)) [7].

وهذا أعظم دليل على ملازمة الذل والصغار لهم حتى ذلك الوقت المتأخر من الزمان، وإن تخلل ذلك فترات ظهور لهم أحيانًا في بعض أدوار التاريخ، إلا أنه يظل ظهورًا مؤقتًا نتيجة ضعف المسلمين من جهة، وانخداع غير المسلمين بهم، وخضوعهم لهم من جهة أخرى؛ لسيطرتهم على المال والإعلام في تلك المجتمعات، حتى أفسدوا عليهم أخلاقهم وعقولهم، ودفعوهم لتنفيذ مخططاتهم، إلا أنه بمجرد أن يعود المسلمون إلى دينهم كما يجب -ونرجو أن يكون قريباً -، ويظهر للعالم زيف اليهود ومكرهم، وتتكشف حقائقهم، فإن الأمور حتمًا سرعان ما ستعود إلى سابق عهدها، ويعود معها اليهود إلى وضعهم اللائق بهم بين الأمم، من الذل، والصغار، والقتل، أو يحقنوا دماءهم بالرجوع إلى الحق.

---

(1) تفسير ابن كثير 98/1، 40/2، 259، والتبشير والاستعمار لعمر فروخ وزميله 179، المكتبة العصرية، صيدا، 1982م.

(2) قضايا هامة لمحيي الدين القضماني 19، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، دمشق، 1407هـ-1987م، ويثرب قبل الإسلام لمحمد السيد الوكيل 39، 40، دار المجتمع، = = ط1، جدة، 1406هـ 1986م، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري 227/1، والمفصل لجواد علي 517/6، 518

(3) انظر: السيرة لابن هشام 50/3، 199، 244، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري 299/1-317.

(4) صحيح البخاري مع الفتح 540/4 (2286)، 385/5 (2730).

(5) حاضر العالم الإسلامي لجميل المصري 327، 340، دار أم القرى، ط2، عمّان،1409هـ-1989م.

(6) التبشير والاستعمار لعمر فروخ وزميله 179، 182، وحاضر العالم الإسلامي لجميل المصري 308، 309، 310، 329.

(7) تفسير ابن كثير 259/2، وفي صحيح مسلم 2266/4 (2944)، **[يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً]**. وفي المصنف لابن أبي شيبة 499/7، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، الرياض ، 1409هـ ، ما ذكر في فتنة الدجال (37527): **((** أكثر أتباع الدجال اليهود وأولاد المومسات **))**، وبنحوه في العلل ومعرفة الرجال لأحمد ابن حنبل 63/3 (4181)، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت، 1408هـ-1988م، وانظر: فتح الباري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من رأى ترك النكير...) 340/13.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مراعاة أحوال غريب الوطن في التشريع الإسلامي

راعى الإسلام غريب الوطن في عدد من تشريعاته، تيسيراً عليه ورفعاً للحرج والمشقة عنه، ومن ذلك:

أنه شرع للمسافر غريب الوطن قصر الرباعية من الصلوات، كما رخص له في الجمع بين صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، في حالات معينة معلومة، ليس هذا محل التفصيل فيها، وينتهي العمل بهاتين الرخصتين بالرجوع إلى الوطن، أو اتخاذه وطنًا جديدًا غير وطنه الأصلي[1].

كما تسقط عن المسافر غريب الوطن صلاة الجمعة ويصليها ظهراً [2]. أما السنن الرواتب فإنه غير مطالب بشيء منها ما دام مسافراً عدا راتبة الفجر وصلاة الوتر ، اقتداء بفعل النبي ρ في السفر [3].

كما شرع للمسافر غريب الوطن الفطر في رمضان ، وينتهي العمل بهذه الرخصة بعودته إلى وطنه ، وإن أقام في البلد الذي سافر إليه وفي عزمه السفر، وإنما إقامته فيه لحاجة، ولا يدري متى تنقضي حاجته شرع له الفطر وإن طالت إقامته [4].

ويسقط الحج عن من لم يجد الزاد والراحلة التي تكفل له العودة إلى وطنه، وهي شرط في الاستطاعة عند البعض؛ لأن الإنسان يستوحش بالانقطاع عن الوطن والمقام في الغربة [5].

ومن لم يجد الهدي في الحج وجب عليه صيام ثلاثة أيام في الحج

(1) المغني لابن قدامة 3/105-140، وروضة الطالبين للنووي 1/483-505، وفتح الباري 2/653 وما بعدها.

(2) المغني 3/216-219، وروضة الطالبين 1/509، 539.

(3) في المسألة خلاف بين أهل العلم، انظر: المغني 3/155-157، ومجموع الفتاوى 22/279، 280، 23/128، وزاد المعاد لابن القيم 1/315، 316، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1405هـ/1985م، وروضة الطالبين 1/440، والمجموع للنووي 4/285، 286، تحقيق محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1415هـ-1985م، وفتح الباري 2/672، 673، 674، ونيل الأوطار 3/269، 270، وصحيح فقه السنة لأبي مالك 1/490، 491، مع تعليقات ابن باز والألباني وابن عثيمين، المكتبة التوفيقية، مصر.

(4) المغني 4/345-349،والمحلى لابن حزم 4/384-417، تحقيق عبد الغفار البنداري، دار الفكر، بيروت، وقد جعل ابن حزم رحمه الله الفطر على المسافر فرضًا وعزيمة، وروضة الطالبين 2/234، 235، والمجموع 6/269-272، ونيل الأوطار 4/303-308.

(5) المغني 5/8-11، والمجموع 7/55، 56، والفروع لابن مفلح 3/172، تحقيق حازم القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ، وتفسير القرطبي 4/147.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وسبعة إذا رجع إلى وطنه ، قال الشافعي رحمه الله في شرح قوله تعالى: ژ ... □ □ ژ (البقرة: ١٩٦) قال: ((معناه إلى الوطن، فإن الله تعالى جعل الرجوع إلى الوطن شرطًا، وما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط، والرجوع إلى الوطن لا يحصل إلا عند الانتهاء إلى الوطن، فقبله لم يوجد الشرط فوجب ألا يوجد المشروط، ويتأكد ما قلنا بأنه لو مات قبل الوصول إلى الوطن لم يكن عليه شيء)) [1].

(1) تفسير الرازي 132/5، 133، والمجموع 187/7-191، والروضة 329/2-333.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقفِيّة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخـــاتمـــــة

ومما تقدم نخلص إلى النتائج التالية:

نـــتـــائـــج

1-كان ρ يحب وطنه، وهو ما جزم به الإمام الذهبي – رحمه الله – حين عدّد بعض محابّ النبي ρ وذكر منها الوطن، فقال: (... ويحب وطنه) (1)، وتستوي في ذلك مكة والمدينة بلا ريب كما دلت عليه الآثار السابقة.

2-حب الوطن سجية في النفس كحب الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة، قال تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ (التوبة: ٢٤) (2).

وقال الشيخ الألباني -رحمه الله- (حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزي في الإنسان) (3).

فهو إذاً مما يدرك بالفطرة، ولهذا ليس له في الإسلام تشريع معين، لأن الإسلام نفسه دين الفطرة، قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ

---

(1) سير أعلام النبلاء 394/15، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1405هـ 1985م.

(2) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم 84/1 .

(3) السلسلة الضعيفة 55/1 (36)، المكتب الإسلامي، ط5، بيروت، دمشق، 1405هـ - 1985م، ويروى في هذا المعنى حديث « حب الوطن من الإيمان »، قال السخاوي في المقاصد الحسنة 297، تحقيق محمد الخشت، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1405هـ : ((لم أقف عليه ومعناه صحيح)) وقال الألباني: ((موضوع)) انظر السلسلة الضعيفة 55/1 (36)، وانظر تخريجًا موسعًا مع شرح وتوجيه للحديث في كتاب: حب الوطن من منظور شرعي لزيد الزيد ص52-55، تقديم عبد العزيز آل الشيخ وصالح السدلان، مطبعة سفير، ط1، الرياض، 1417هـ.

وحديث ((دع القلوب تقر)) وفي لفظ ((حسبك يا أصيل لا تحزنا)) رواه الأزرقي في أخبار مكة 155/2، والخطابي في غريب الحديث 278/1، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار الفكر، دمشق، 1402هـ-1982م، وابن حجر في الإصابة 53/1 (213)، وغيرهم، وهو حديث ضعيف، أورده السخاوي في المقاصد الحسنة 298، والعجلوني في كشف الخفاء 414/1 (1102)،تصحيح وتعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1421هـ-2000م، وانظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، علي حسن الحلبي وآخرون 400/6 (15646)، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، 1419هـ-1999م.

وحديث ((الخروج عن الوطن عقوبة)) ذكره الجاحظ في المحاسن والأضداد 124، تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، ط2، بيروت، 1418هـ، وإبراهيم بن محمد البيهقي في المحاسن والمساويء (301)، دار صادر، بيروت، بدون إسناد، ولم أقف عليه عند غيرهما من المتقدمين، ولا من المتأخرين المعنيين بتخريج الأحاديث والحكم عليها.

وفيما ذكر من أحاديث وآثار صحيحة غنية عن الضعيفة والموضوعة وإن كان معناها صحيحًا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ۇ ۆۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ې ې ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو (الـروم: ٣٠)، فالأصل إذاً أنهما متفقان، وليس بينهما اختلاف، لكنه إذا كان صارفاً للإنسان عن حب الله ورسوله وجهاد في سبيله فإنه يصبح وبالاً على صاحبه ، ويكون حينئذ على غير سنن الفطرة وعلى غير هدى الإسلام.

وقد أساء إلى هذه الفطرة في العصور المتأخرة فئتان: [1] فئة اتخذته مطية للنيل من الدين وأهله تمهيداً لإقصائه من الحياة العامة، وهم دعاة القومية والوطنية، وفئة قامت ضدهم غيرةً للدين وأهله، يلعنون الأوطان وما قرب إليها من قول أو عمل، حتى أصبح الحديث عن الوطن عند هؤلاء حديثاً مشوباً بالحذر، يبعث على الريبة والشك في قائله.

وكلا الفئتين متطرف في موقفه، والموقف الوسط من الوطن هو ما وافق الشرع والعقل والفطرة على حد سواء، ولا عبرة بعد ذلك بالمخالف، فإن الناس لا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك [2].

3-يحتاج الإسلام إلى ملاذ آمن، ينمو في كنفه، ويكبر في أحشائه، وينطلق منه ، ويأوي إليه ؛ ليمارس فيه أتباعه التعليم، والدعوة، والتبليغ، والجهاد، وسائر مناشط الحياة، وهذا الملاذ هو ما اصطلح على تسميته بـ(الوطن).

4-يمثل الانتماء إلى الوطن في الإسلام شكلاً من أشكال الجماعة، التي جاءت تعاليمه تشد من أزرها، وتؤكد عليها، وفق ضوابط شرعية وحدود مرعية، وقد استثمر المسلمون الأوائل ذلك في تحقيق مصلحة الجماعة في عدد من المناسبات والظروف المختلفة في إعداد الجيوش وترتيبها في المعارك، وفي تنظيم الناس في العطاء، وفي تخطيط المدن، وفي حفظ الأمن، وفي تنظيم علاقة الراعي بالرعية، وفي غيرها من المناسبات التي لا تخفى على المتأمل.

5-لا بأس في الإسلام من تعدد الأوطان، إذا كان لغرض شريف وغاية

---

(1) ستكون هاتان الفئتان مع الفئة الوسط الثالثة موضوع بحث مستقل قادم إن شاء الله تعالى .

(2) انظر: نقد القومية العربية لابن باز رحمه الله، المكتب الإسلامي، ط4، بيروت ودمشق 1403هـ-1983م، وحقيقة القومية العربية لمحمد الغزالي رحمه الله، مطبعة حسان، ط3، 1397هـ-1977م، وفكرة القومية العربية لصالح العبود، دار طيبة، ط1، الرياض، والإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت، 1399هـ - 1979م، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين، دار النهضة العربية، ط3، بيروت،1392هـ-1972م، والتبشير والاستعمار في البلاد العربية لمصطفى خالدي وعمر فروخ، ومذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، دار الشروق، ط1، 1403هـ-1983م، بيروت ... وغيرها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نبيلة، قال ρ : [**من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**] [1]، ولكن لا يحمله استيطان بلد على بغض آخر، أو الحط من قدره، أو النيل منه، أو التسخط عليه وعلى أهله؛ وإنما يحب الخير لسائر الأوطان، وأهل تلك الأوطان، على اختلاف مشاربهم، وألوانهم، وأجناسهم، ورأس الخير الذي يرجوه لهم (الإسلام)، فالمكان لا يذم لذاته ولو تلبس بغير لبوس الإسلام واضطر المسلم إلى هجره والبعد عنه، ولا مانع من العودة إلى الوطن الأم إذا صلحت أحواله[2]، بل إن ذلك يصبح مطلبًا ملحًا، يدل على العقل والحكمة، وسلامة الفطرة، فإن أولى الناس ببرك وإحسانك هم أهلك وخاصتك الذين نشأت فيهم.

6-المواطنة في الإسلام حق مكتسب لسائر الناس، في سائر البلدان، بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، إلاَّ في جزيرة العرب فلا يسكنها على سبيل الإقامة الدائمة إلاَّ المسلمون دون غيرهم.

7-عني الإسلام بالوطن في عدد من تشريعاته، وجعل للمسافر غريب الوطن من الأحكام ما يلائم ظروف سفره، تيسيرًا عليه، ورفعًا للمشقة والحرج عنه.

8-الوطن في الإسلام ليس معتقلاً لا يجوز الخروج منه، بل يخرج الإنسان من وطنه، لتبليغ الدعوة، وتعليم الناس، والجهاد، وكسب الرزق، وطلب العلم، وقضاء الحوائج والمصالح المختلفة، بحرية كاملة، وبدون قيود، قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العُلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تَفَرُّجُ هَم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد[3]

وقال أبو إسحاق الألبيري:

---

(1) صحيح البخاري مع الفتح 15/1 (1)، وصحيح مسلم 1516/3 (155/1907).
(2) الاستذكار 276/7.
(3) ديوان الشافعي 41.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لله أكياس جفوا أوطانهم	فالأرض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر	وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم في فلك التُّقى	وجرى بها الإخلاص والإيمان
فرست بهم لمّا انتهوا بجنة	مرسى لهم فيه غنى وأمان [1]

9-إخراج الناس من أوطانهم إما أن يكون بوجه حق تنفيذاً لأوامر شرعية وتعاليم ربانية، عقوبة على جرائم معينة، وإما أن يكون بغير وجه حق، ظلماً وعدواناً، وقد قرنه الله في هذه الحالة بقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

10-للوطن على أهله حقوق يجب أن تراعى، وقديماً قال الشاعر:

وللأوطان في دم كل حر	يد سلفت ودين مستحق [2]

وقال حكيم: ((احفظ أرضاً أرسخك رضاعها، وأصلحك غذاؤها، وارع حمىً اكتنفك فناؤه ، وروّحك هواؤه)) [3].

وقال آخر: ((إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحنّنه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى إخوانه ، وبكاؤه على ما مضى من زمانه)) [4].

ويروى أن عمر بن الخطاب τ قال : ((لولا حب الوطن لخرب بلد السوء)) [5].

وقال الشاعر:

بلاد ألفناها على كل حالة	وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

(1) نفح الطيب للتلمساني 345/4، 346، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ-1968م.
(2) الشوقيات 75/2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1405هـ-1985م.
(3) المحاسن والأضداد /الجاحظ 122، ومحاضرات الأدباء للأصفهاني 652/2، تحقيق عمر الطباع، دار القلم، بيروت ، 1420هـ-1999م.
(4) كشف الخفاء 415/1. وتاريخ دمشق لابن عساكر 28/39، دار الكتب العلمية، بيروت.
(5) المحاسن والأضداد /الجاحظ 122.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ونستعذب الأرض التي لا [illegible] ... ولا ماؤها عذب ولكنها [illegible] (1)

وقال آخر:

خشونة عيشتي في [illegible] ... إلى نفسي من العيش [illegible]

فما أبغي سوى وطني [illegible] ... فحسبي ذاك من وطن [illegible] (2)

ومما تقدم في ثنايا البحث من نصوص وآثار وأخبار يمكننا القول بأن لوطنك – الذي تفيأت ظلاله، وتنسمت هواءه، ورضعت ألبانه، وسلكت دروبه وفجاجه وسهوله ووهاده، وتقلبت في مساجده ومدارسه وجامعاته، وأمنت فيه على دينك ونفسك ومالك وعرضك، وأنفقت من درهمه وديناره – حقاً عليك أن تغار عليه، وتشيد به، وتذكره بالمعروف، وتدعو له، وتدافع عنه، وترد الشبه الباطلة عنه، ولا تستحي من الانتساب إليه، وأن تسهم في بنائه بحسب الجهد والطاقة، بمختلف أنواع وأوجه البناء، لا تحقر من ذلك شيئاً، وليس لأكثره حد.

وبذلك تكون قد عملت بمقتضى تعاليم دينك، ولبيت نداء العقل والفطرة، وقضيت لوطنك بعض الذي عليك.

وبعكس ذلك يكون العقوق والغواية والضلال الذي ينبيء عن خسة في الطباع، وسوء في الأخلاق، ونكران للجميل، ومرض في الصدور، يستوجب من صاحبه وقفة صادقة مع نفسه، ومراجعة شجاعة لأفكاره ومواقفه.

هذا ما تيسر جمعه في هذا الموضوع الهام، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي، أستغفر الله منه وأتوب إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) المستطرف ، الأبشيهي 26/2، بإشراف المكتب العالمي للبحوث، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ/1992م.

(2) تاريخ دمشق 95/74. وخزانة الأدب 258/3.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

/

This file was downloaded from QuranicThought.com